2007 04 ww -0007 -ح

عائلة فرنجية، الخسارة الفادحة

مصباح العلي

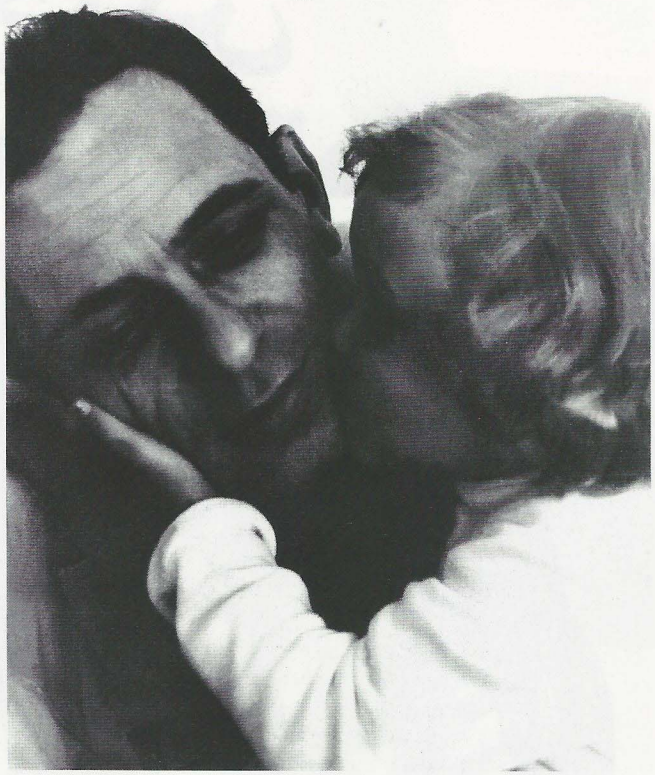

استفاق الفتى سليمان فرنجية صباح الاثنين غداة حدوث المجزرة الرهيبة التي أودت بكامل افراد عائلته في إهدن ، شرع بتهيئة نفسه للذهاب مع جده الرئيس الى بيروت للالتحاق بمدرسة الاتتيه . سأل عن أمه أجابته جدته " تعبانة.. أتركها ترتاح شوي " و كانت المرة الوحيدة التي يترك فيها المنزل دون أن تطبع على وجنتيه القبلة ، كما تركته أسير الخسارة الفادحة ، بالرغم من أنه ابن طوني فرنجيه و حفيد الرئيس سليمان فرنجيه .

وقعت المجزرة .. وتولى الأصدقاء من آل الخوري تهيئة الأجواء ، ليتلقى الفتى الخبر المفجع، كانوا حريصين عليه .. و لم لا ؟؟ فهو الباقي من عائلة كانت حتى يوم أمس تضج بالحياة و الصخب !! سحبوه من المدرسة تحت حجة المشاركة في عيد ميلاد الاولاد .. ويذكر جيدا" أنه درجت في تلك المرحلة ظاهرة اللاسلكي ، بديلا عن الهاتف العادي ، لاحظ أن كل أجهزة اللاسلكي مقفلة فلم يسأل و لم يستفسر رغم شغفه بها ..

أتت عمته لمياء .. لاحظ أنها كانت متشحة بالسواد، ظن أنها (عم تعمل واجب) مع بعض الزغرتاويين .. و قالت: " سنذهب اليوم الى إهدن " .. لم يدر فتانا أن الحدث جلل ، ويتعلق بمقتل كل أفراد عائلته ، كان يحب الاقامة في إهدن إلا انه هذه المرة لم يرغب بالذهاب ، كان قلبه الصغير يحدثه بأن شيئا قد حصل .. شيء كبير و ضخم ، كبر و ضخامة الأجواء المتلبدة التي تحيط به ، و العيون الواجمة و الحزينة التي تسترق النظر اليه .. عرف بالمأساة على الطريق .. اخبرته عمته أن مجزرة قد حصلت ، و أن هذه المجزرة قد طالت امه وشقيقته الصغيرة .. و طلبت منه التماسك فـ (أنت صرت رجّال و لازم تضل رجّال) .. لم يطلب أية تفاصيل .. عرف ببديهة الفتى اللامع الذكاء أن الفجيعة أكبر منه .. و أكبر من زغرتا – اهدن .. بل أكبر من الوطن و من سنوات حياته القليلة .. ولم يسأل عن مصير والده .. لقناعته الاكيدة بانه يجب أن يكون قد استشهد .. بل هو على رأس لائحة الشهداء الذين علم فيما بعد أنهم تجاوزوا الثلاثين .. ويروي فتانا فيما بعد ان الصدمة كانت شديدة عليه.. ولم تترك له الدنيا سوى الحنين الدائم للعائلة .. وللصغيرة التي كان يشعر بانها مسؤولة من شقيقها الاكبر .. حيث لم يكن ليتوانى عن تلبية كل طلباتها .. بكى بشدة و حرقة .. وشعر انه لايستطيع ان يتحمل في سنه المبكرة خسارة العائلة .. ولكن كان عليه أن يتجلد ويكابر .. و كان عليه فيما بعد مواجهة حياة محكومة بالغربة و الاسى..

التقى الحفيد بالجد المفجوع .. و كان كل منهما يحاول التخفيف من آلام الآخر .. عن هذا المشهد يقول الوزير سليمان فرنجيه : " خسارة جدي كانت كبيرة ، من الصعب ان يدخل الموت الى منزل ويحصد عائلة بكاملها .. اليوم بعدما أصبحت أبا ، اشعر أكثر بأسى جدي جراء الخسارة الكبيرة " .. احتضن الجد الحفيد ، ولم يتركه لحظة واحدة ، فلم يبق له في الدنيا سواه .. ومكث الحفيد في احضان جده لساعات .. لم يدر بما حوله ، ولم يسمع سوى صيحات الغضب والاستنكار، ولم يشعر سوى بموجات الحزن والالم .. وكلاهما غارق في أبشع ما يواجهه الانسان في حياته، و لكنه يتجلد و يحاول التخفيف عن الاخر ..

يروي من شاهد الرئيس سليمان فرنجية أنه كان متماسكا و رابط الجأش حين أخبروه بالمجزرة ، و فورا توجه الى اهدن .. وصل الى المنزل .. دخل بهدوء .. نظر الى الجثث الثلاث .. فتوجه اولا الى ولده طوني .. كشف عن وجهه ، وقال : " يا إبني أنت رجل سياسي ... دفعت الثمن " .. تركه واستدار الى زوجته .. وقال لها " أنت زوجته وعليك الا تتركيه " .. ثم بدا عليه التأثر الشديد حين كشف الغطاء عن حفيدته جيهان ، ابنة الثلاث سنوات ، قائلا : " بس إنت يابريئة .. شو ذنبك ؟؟ "

كما يذكر الصحفيون أن الرئيس فرنجية كان يحافظ على هدوئه الدائم حين يتحدث عن شهادة ولده وعائلته .. سوى مرة وحيدة في ١ أيلول عام ١٩٨٢ حين عقد مؤتمرا" صحفيا" للتحدث عن إنتخاب بشير جميل رئيسا" للجمهورية .. فبدأ حديثه بالقول : " اليوم هو الاول من أيلول.. عيد ميلاد البطل ..الشهيد .. " .. وهنا ، أجهش بالبكاء .. كان بالنهاية إنسانا تملكه الحزن .. و إعتصر قلبه الاسى في لحظة ميلاد ولده الشهيد ..

هكذا عصف الحقد في الحرب الاهلية بالناس .. وغيّب الاجرام عائلة بكامل افرادها في لحظة مجنونة ..

قد تتبدل الاحجام و الاوزان .. و هذا من طبيعة اللعبة السياسية في لبنان .. ولكن يبقى السؤال الكبير : " من يعيد ضحكات و ضجيج عائلة الى الوجود؟ من يعيد الحياة الى الصغيرة جيهان التي قتلت دون ذنب سوى إنتمائها الى هذه العائلة؟ "

إنها المسألة الصعبة التى لا يجيب عنها الزعيم سليمان فرنجية اليوم .. سوى أنه يسرح بنظره الى البعيد .. و يعلق دائما " كانت أيام عائلتي أياما حلوة " ...

ص